

ماذا في «دروب الحرية»؟

بمترجم مورييس كرانستون
ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

في ماتيوي اقل بكثير مما في سارتر في روكنتان . (٤) حقا ان ماتيوي - شأنه في هذا شأن سارتر - مدرس فلسفة ثم يصبح جنديا ، بل كل منهما أكثر من محارب ، لكن لا يوجد أي تطابق بينهما . وفي الواقع هناك نوع من التهمك في الطريقة التي يجعل بها هذا المدرس للفلسفة أحد المصابين بخداع الذات دون بقية شخصياته الأساسية .

عندما تبدأ الرواية ، تخبره عشيقته مارسيل أنها حامل ، ويمضي الثماني والاربعين ساعة التالية يحاول أن يجد نقودا يدفعها من أجل عملية الاجهاض . وهو يدقق للغاية حتى لا يدعها تذهب الى امرأة عجوز فذرة تستعمل الطرق البدائية ، وهو كذلك مصمم ضد فكرة الزواج بمارسيل حتى تنجب الطفل . ورغم أنه يحس بأنه شاخ وهو في الرابعة والثلاثين ، فهو يعتقد ان الزواج سيقتضي على حريته ، لانه يتصور نفسه رجلا مستقلا للغاية . يقول له مارسيل ذات يوم : « أنت تريد أن تكون حرا ، حرا حرية مطلقة . تلك هي رذيلتك » . فيتضايق ماتيوي ، لقد شرح لها آراءه عن الحرية مئات المرات من قبل ، وهي تعلم أن هذا أحب شيء لديه . لكنها تقول له ثانية : « تلك هي رذيلتك » .

ويسمع ماتيوي عن طبيب يعد نجدة يمكنه أن يجري العملية مقابل أربعة آلاف فرنك ، فيتوجه الى أناس مختلفين - أمه ، أصدقائه ، مكتب القروض - مصمما على الحصول على النقود ، لكن باءت محاولته في اقتراض المال بالفشل . وفي لسة تهكمية رائعة ، يجعل المؤلف أخا ماتيوي البورجوازي المتباهي المسمى جاك (وهو نموذج عند سارتر يمثل « الخنزير ») يتلفظ ببعض الحقائق الهامة . يقول جاك لماتيوي : « لو كانت ني آراؤك ، فسأنته نفسي عن طلب المعروف من شخص بورجوازي ملعون . انني شخص بورجوازي ملعون . . . وزيادة على ذلك أنت يا من تحقصر الاسرة ، انما تقضي على الروابط الاسرية وانت تقترض مني » . فيحاول ماتيوي أن يبرر نفسه :

يقول ماتيوي : « أصغ الي ، فهنا سوء فهم ، أنا لا أعيا الا قليلا بما إذا كنت بورجوازيا أم لا . كل ما أريد هو - » وهو ينطق الكلمات الأخيرة من خلال أسنان مطبقة وفي نوع من الخجل - « أن أستسرد حريتي » .

يقول جاك : « كنت أظن أن الحرية قائمة في مواجهة الصريحة للمواقف التي ينفذ اليها المرء حامدا ، ويتقبل مسؤولياته . . . وأنت على أية حال ، قد بلغت سن الرشد يا عزيزي ماتيوي المسكين » يقول هذا في لهجة شفقة وتحذير : « لكنك تحاول أن تروغ من هذه الحقيقة للغاية ، أنت تحاول أن تتظاهر بأنك أصغر سنا مما أنت عليه . حسنا . . . ربما أكون قد ظلمتك ، وربما لا تكون في الواقع قد بلغت سن الرشد ، فهذه السن سن أخلاقية . . . ربما أكون أنا قد بلغت أسرع مما بلغت أنت » . وكما لو كان ماتيوي يريد أن يبرهن على وجهة نظره أخيه ، أخذ يعزي نفسه بأن يغمس في صحبة الشباب الفاضل . فبدأ يخرج مع فتاة روسية بيضاء في الثامنة عشرة ، أسمها بايقيش وأخيها بوريس المصاب بداء السرقة ، وكان أحد تلاميذه . ولا تنفك بايقيش تحاول أن تجتاز امتحان الجامعة ، أما بوريس فهو في التاسعة عشرة وهو أشهد ادراكا لشبابه وقد أغرته لولا وهن مغنية هرمة في ناد ليلي . وقد ذهب

تعد « دروب الحرية » (١) نوعا من الزخرفة ، يقصد بها اعطاء صورة اجمالية لطرق الناس المختلفة للحرية، لكنها تموج بتنوع الاساليب، هذا وقد تركها سارتر دون أن يمها . وقد ظهر الجزء الاول والثاني « سن الرشد » و « وقف التنفيذ » عام ١٩٤٥ ، وظهر الجزء الثالث « الحزن العميق » عام ١٩٤٩ ، وفي نوفمبر وديسمبر من السنة نفسها نشر سارتر في مجلته « الازمنة الحديثة » فصلين عنوانهما : « صداقة عجيبة » من الجزء الاخير المنتظر . ثم أعلن سارتر بعد هذا أنه لن يكتب فيها المزيد مطلقا .

ويمكن للجزء الاول « سن الرشد » أن يكون رواية قائمة بذاتها وتكون كاملة . ففيها بطل هو ماتيوي أفضت به تجاربه الركزة في خلال أيام قليلة من مجموعة اوهام عن الحرية الى مجموعة أخرى وكلهما سخيفة . أما الجزء الثاني « وقف التنفيذ » فهو نوع آخر من الرواية . لقد أقام الرواية على نسق التنكيك « الواقعي » الامريكي عن جون دوس باسوس ، وهي محاولة لنقل تاريخ أسبوع ميونخ في فرنسا عن طريق « مونتاج » لردود أفعال أناس مختلفين ، وهو يقطع بسرعة - وقد يكون هذا أحيانا في الجملة نفسها - ما يقال وما يفكر فيه شخص من الأشخاص الى ما يقال وما يفكر فيه شخص آخر ، وينتقل من الأشخاص الروائيين أمثال ماتيوي الى الناس الواقعيين أمثال شامبرلين ودالدييه . فاذا تذكرنا ما قاله في « ما هو الأدب ؟ » فاننا ننتقل من « وعي انسان الى آخر » . ومع هذا ففي الجزء الثالث « الحزن العميق » ينتقل المؤلف الى التنكيك الأشد ، أفنعا والذي نراه في « سن الرشد » لكي تركز انتباهنا مرة أخرى على مصائر جماعة صغيرة من أصحاب النزعات الخيالية . والشئرات المشورة من الجزء الرابع ناقص ليست الا امتدادا للقسم الاخير من « الحزن العميق » .

لقد قلت ان ماتيوي هو « بطل » الكتاب الاول ، لكن من الخطأ الاعتقاد انه الشخصية التي يتعاطف معها أو يعجب بها سارتر بصفة خاصة ، ولا يجب أن نظل نعتقد انه شخصية تمثل سيرة حياة المؤلف . لقد فعل النقاد هكذا ، فتجد الأستاذ شترن (٢) Stern يشير الى « ماتيوي - سارتر » وحتى الآسمة موردوخ تقول عن ماتيوي : « مما لا شك فيه أنه صورة مصغرة من سارتر » (٣) . وفي الحقيقة ان ما في سارتر

* . . هذا الجزء اقتطعته من الفصل السابع من كتاب مورييس كرانستون : « سارتر » الذي ظهر لأول مرة عام ١٩٦٢ عن دار Oliver Bayed & ضمن سلسلة « الكتاب والنقاد » والذي أمل أن اصدر ترجمته العربية قريبا .

(١) ظهرت الترجمة الكاملة للرواية عن دار الاداب من ترجمة للدكتور سهيل ادريس ، وقد احتفظت بترجمته لعناوين الرواية : أما النصوص داخل المقالة فهي من ترجمتي استنادا الى النصوص المترجمة الى الانجليزية الواردة في تضاعيف الكتاب المذكور .

(٢) يشير المؤلف الى الفريد شترن في كتابه : « سارتر : فلسفته وتحليله النفسي » (المترجم) .

Stern, A. : Sartre, His Philosophy & Psychoanalysis

(٣) كتاب اربز موردوخ : « سارتر للعقلي الروماتي » Murdoch, S. : Sartre, Romantic Rationalist

وقد ترجم محمود رجب للفصل الخاص بدروب الحرية من لكتاب في مجلة الاداب عدد مارس ١٩٦٢ (المترجم)

(٤) بطل رواية سارتر الاولى : « الفتيان » (المترجم) .

صدر عن :

دار الطليعة للطباعة والنشر

ص.ب ١٨١٣ - تلفون ٢٥٧١٧٨

*

حين فقدنا الرضا

رائعة جون شتاينبك الجديدة
ترجمة سميرة عزام

التلميذ والدرس

تأليف مالك حداد
ترجمة الدكتور سامي الجندي
نموذج للادب الثوري الجزائري

وجها الحياة

تأليف البير كامو
ترجمة الدكتور سامي الجندي
ثلاثة كتب في كتاب واحد

ثائر محترف

تأليف مطاع صفدي
الفتح القصصي الذي ارتفع بالقصة العربية ذات
الفكرة الى مستوى عالي جدير بالاعجاب والتسجيل

صمت البحر

تأليف فير كور - ترجمة وحيد نقاش
القصة التي جعلها جان بول سارتر عمادا لاروع
فصل نقدي صدر عنه في تحديده للادب

نهر الرماد

خليل حاوي
الطبعة الثالثة
الملحمة الكبرى في الشعر العربي الحديث ، أضيف
اليه تشييدان وأعيد النظر في بعض الأناشيد السابقة .

الجميع الى ملهى ، فكانت صحبة من أربعة أشخاص تثير الشجن . وماتيو شغوف بان يؤكد حرته في حضور بايفيش ويردد أقوال « جيد » عن « الاعمال المجانية » Actes Gratuits اي الايتان بالافعال التي ليس لديه دافع معقول لها كان يطلب الشبان التي يكرهها وان يفرز سكيناً في يده . وسارتر بالمثل يكشف عن سخف مثل هذه الافعال ، وخاصة سخف فكرة جيد من ان السلوك الذي من هذا النوع ليس بآية حال من الاحوال تأكيداً للحرية .

وذا صبح يأتي بوريس الى ماتيو وايفيش اللذين يجلسان في مقهى ، ويقول بان لولا قد ماتت وهي نائمة معه ، فهرب في هلع ، وهو الآن فلق بصدد استرداد الخطابات الغرامية التي كتبها لها . فيتطوع ماتيو ان يذهب من اجلهما . وبينما هو يتقرب في حجاب لولا يجد ماتيو بعض الاوراق النقدية . وهنا اخيراً يجد فرجا لدفع اجر عملية اجهاض مارسيل . لكن ماتيو يشك طويلاً في ان لولا لم تمت وانما هي تحت تأثير مخدر وسوف تستيقظ . واخيراً تنتاب ماتيو حالة من الشجاعة ويرتد ثانية فيسرق النقود .

وفي الوقت نفسه كانت هناك تطورات أخرى . فان صديق ماتيو الخبيث المصاب بالجنسية المثلية دانيال قد رأى مارسيل واثراً فيها بانها تريد الطفل حقاً . وهكذا عندما يظهر ماتيو في شقة مارسيل ومعه النقود من اجل عملية الاجهاض تشور ضده ونظره من الشقة . وقيل لماتيو الآن ان دانيال سوف يتزوج مارسيل . ودانيال مستعد ان يعترف ببنوة طفل ماتيو على انه طفله . وهو يؤكد لماتيو انه رغم اصابته بالجنسية المثلية ، الا انه سوف « يقوم بواجباته كزوج » .

وسرعان ما يجد ماتيو نفسه وحيداً فان ايفيش التي تحتقره كثيراً كما تحتقره مارسيل تشمل في امتحاناتها وتذهب الى الريف . وينتهي الجزء الاول بهذه الكلمات .

« راقب ماتيو دانيال وهو يخنفي ، وفكر : « لقد بقيت وحيداً » . وحيداً لكنني ازداد حرية عن ذي قبل . لقد قال لنفسه في الاسيسية السالفة : « آه لو لم توجد مارسيل ! » لكنه وهو يقول هذا انما كان يخدع نفسه : « لم يتدخل مخلوق في حريتي ، لقد جففتها حياتي » . وأغلق النافذة وارتد الى الحجرة . ولا يزال عبق ايفيش يحوم في الهواء . استنشق الهواء وتذكر هذا اليوم العاصف . « جمجمة ولا طحن » .

هكذا فكر . لا شيء : لقد منحت له الحياة من اجل لا شيء ، انه لا شيء ومع ذلك فلن يتغير : انه كما خلق ... تناوب : لقد انهي يومه وكذلك انتهى من شبابه . لقد قدمت الاخلاقيات الحسنة المختلفة خدماتها له في خداع - الايقورية الواعية ، التسامح عن طريق الاستماسة ، الإذعان ، الحس المشترك ، الرواقية - قدمت له كل المعاونات التي يستملحها الانسان ، دقيقة بعد دقيقة ، كحكم فاس على فشل الحياة ... تناوب ثانية وهو يكرر لنفسه : « حقاً ، حقاً للغاية : لقد بلغت سن الرشد » .

وتبرهن حوادث الجزوين التاليين لانتها « سن الرشد » على انها مليئة بالنهك . فلا يزال ماتيو يخدع نفسه ، لا يزال يبحث عن الحرية في ان يظل غير ملتزم ولا يزال يعتقد انه « كما خلق » ، انه النظام ، هذا كل ما هناك ، ولم يعد أشد تعقلاً . وظل حائراً كالابيد . ف « يقرر » ان يذهب ليقاوم في اسبانيا ، لكنه لا يذهب الى هناك مطلقاً ، وكان على وشك ان « يفاجع زوجة اخيه اوديت التي تحبه ، لكن أوراق تجنيده التي ارسلت أثناء أزمة ميونخ تستدعيه « في التو » . وعندما كان يعبر مركز نيف « يقرر » ان ينتحر ، لكنه يعدل عن قراره ويقول : « ربما في المرة القادمة » .

ويصل ماتيو الى فرقته ، وفي الجزء الثالث « الحزن العميق » الذي تدور حوادثه في مايو ويونيو عام ١٩٤٠ نجده في الجبهة . ويهجر

ماذا في « دروب الحرية »

— تنمة المنشور على الصفحة ١٦ —

الضباط فرقتهم أثناء زحف الألمان ، والناس الذين دمروا أخلاقيا ولا يفكرون الا في العودة الى بيوتهم يسكرون وهم ينتظرون الهدنة . ثم يبدو في القرية التي تمسك فيها فرقة ماتيو فصيلة عسكرية من الطراز الاول في آلي شاسير . ولقد استهوت ماتيو وصديقا له من العمال صفاتهم العسكرية فاستمالوهما لكي يسمحوا لهما بالالتحاق بالفرقة في برج كنيسة حيث يبذلون آخر محاولة للسمود في وجه العدو . وهناك في البرج ، حيث قدر أن يقضي الألمان على ماتيو ، نجده وهو الذي لا يتأثر ، أمامه ساعة أخيرة من العمل البطولي :

« لقد شق طريقه الى السور ، ووقف هناك يطلق النار . كان هذا انتقاما على مستوى كبير . كل طلقة من طلقاته انما تنتقم لشك مسن شكوكه القديمة . « طلقة من أجل لولا التي لم أستطع أن أسرفها ، وطلقة من أجل مارسيل التي كان يجب أن أخلو بها ، وطلقة من أجل أوديت التي لم ارد أن أقبليها . وهذه الطلقة من أجل الكتب التي لم أجرؤ أن أكتبها وهذه من أجل الزهات التي لم أقم بها اطلاقا ، وهذه من أجل كل واحد بصفة عامة ممن أردت أن أكرهه وحاولت أن أفهمه » . أطلق النار وكانت الألواح تتكسر من حوله . سوف تحب جارك كحبك لنفسك - طلقة ! في وجه هذا اللوطي ، أنت لن تقتل - طلقة ! في خيال الماتة هذا المقابل . كان يطلق على الناس ، على الفصيلة ، على العالم كله . الحرية هي الرعب لقد كان رأسه ملتهبا . كانت الطلقات تنطلق حوله مرة في الهواء . « ان العالم يشتعل وكذلك أنا معه . . . واستمر يطلق الرصاص . لقد اطلق الرصاص . لقد اغتسل . انه قوي للغاية انه حر » . وربما يسيء الواحد منهم مقاصد سارتر عندما انتهى بماتيو الى هذه النهاية . ان الجو العام لهذا القسم من الرواية هو جزء « بطولي » تماما . ان جبن اولئك الذين لا يريدون أن يقاتلوا . انما يظهر من خلال عيون حادة وقحة . من الواضح ان الصفات العسكرية للالاي قد ذكرت كموضع باعجاب ، وفي موت ماتيو هناك اثر خفيف فيج من كبلنج او فيلم عن الحرب من افلام هوليوود . وعلى أية حال كما أشار فيليب تودي ناقد سارتر الدقيق ، فان ماتيو ليس المقصود به أن يكون « بطل القتال الذي يصنع الخير » ، ان المقصود به أن يكون تجسيدا لما أسماه هيجل (الحرية المربعة) (١) ويموت ماتيو وهو « يعتقد » انه حر في النهاية ، لكن هذا الموت في عين المؤلف ليس الا آخر اخطاء ماتيو المدينة . فليس حقا عند سارتر ان «الحرية هي الرعب» . وهكذا فان ماتيو الذي تأمل كثيرا في الحرية واهتم بها للغاية ، قدم مات في شجاعة، لكن دون أن يكشف حقا ما هي الحرية .

اما البطل المحوري الآخر عند سارتر في « دروب الحرية » فهو دانيال ، وقد ترك المؤلف مشكلته الرئيسية دون حل . فدانيال لوطي . او هو ليس لوطيا في عين نفسه ، انه لوطي في عيون الآخرين . فهو من جهة يريد أن ينكر جنسيته المثلية ويتظاهر بأنه مجرد شخص « مختلف » عن الآخرين . ومن جهة أخرى ، حيث انه لا يستطيع أن يهرب من كونه يرى باعتباره شخصا عنده جنسية مثلية ، وان نظرة « الآخر » تجسده هكذا ، فهو يتوق أن يصبح جنسيا مثليا كما يصبح الشيء المادي شيئا ، وأن ينهي شعوره بالاثم عن طريق التخلص من مشاعره جميعا . فهو يتوق ان « يصبح حجرا ، بلا حركة ، بدون شعور ، اعمى . . . أن يصبح لوطيا كما تكون شجرة البالوط شجرة بلوط . أن ينطفئ . أن يفلق عمقه

(١) مقتبسة من كتاب فيليب تودي : جان بول سارتر ، دراسة أدبية وسياسية (المترجم)
Thody, P. : Y.P. Sartre, A Literary & Political Study

الداخلي » . لكن لا يتحقق حلم دانيال بطبيعة الحال . الوعي لا يمكن الا أن يكون وعيا ؟ الانسان لا يستطيع الا ان يكون ذاتية Subjectivity تخطيا Transcendence وجودا لذاته .

وهكذا يسير دانيال في طريق حياة اللوطي الشاعر بالاثم ، وهو يعاقب نفسه (لو أمكن استعمال هذا التعبير الفرويدي في تلخيص قصة سارترية) ويعاقب الآخرين . لكن جهود دانيال في معاقبة نفسه غير ذات اثر . لقد صمم على قتل القبط التي يحبها ثم يعبد ، وهو يقرر أن يخصي نفسه ثم يعبد . وهو يمضي في زواجه بمارسيل (نكابة في ماتيو) لكن وهو في شهر العسل معها ، يتمرد على جسدها الانشوي ، ويشير جسد ذكر شاب هو جسد بستاني ، فيتركها . ان اثم دانيال يعبر عن نفسه ايضا على شكل الحكم الشامل المليء بالفروغ على سلوك الناس الآخرين بما في ذلك رفاقه من أصحاب الجنسية المثلية .

وهناك منظر فريد في الصالون الذي يصور تكوين دانيال السيء من ناحية العقيدة والنظرية السارترية عن « النظرة » . يذهب دانيال الى الصالون ولديه النية على انتقاء شاب من الشبان الذين يترددون هناك ، ينتقيه بنفوده . وبينما هو يفحص الغلمان في استمتاع ، يدخل رجل غريب مسن الى المكان ويكون صداقة سريعة مع أحدهم . فيشعر دانيال انه « قد استشاط غضبا حارفا » ضد القادم الجديد ، ويقرر ان يعاقبه . فيقرر ان يتبعه عندما يرحل ، يتصور جمال الفكرة لو أصبح مخبرا ويستجوب الرجل عن اسمه « ويرده الى حالة من الغزع » وبينما هو يتلذذ بالغم الذي سيعانيه ضحيته ، يسمع أحدهم وهو يخاطبه من ورائه . بأنه احد عشاقه السابقين ، بوبي ، وكان يراقبه من غير أن يراه أحد . وعندما يصل اليه بوبي ، يستدير الرجل العجوز وينطلق ، وعندما يرى دانيال واقفا هناك مع شاب فظ بجانيه ، يتسمم استماعة الماراف . فيضطرب دانيال غضبا أكثر من ذي قبل . يقول دانيال لنفسه وهو اشد اضطرابا : « لقد حدث ورائي مع هذا الغلام واعتبرني مبتدئا » . ان دانيال يكره ما يسميه « مبولة الاخاء الماسوني » : « انه يتصور كل واحد فيها . انني افضل ان اقتل نفسي في التو على ان ابدو كهذا اللوطي العجوز » .

ونحن نجد ان دانيال خلال نزعته السيئة يتحول الى المسيحية ، لكن دينه لا يكون الا مجرد تدليس ، شأنه في هذا شأنه في الزواج . وتأتي لحظة ابتهاجه أخيرا مع سقوط فرنسا . وعندما يعود الى باريس ويرى كل شخص تقريبا يهرب في دعر امام زحف الألمان ، يعيش دانيال تجربة فرح برضاء حقيق :

« لقد ظل عشرين سنة تحت المراقبة . لقد كان هناك جواسيس حتى تحت سريره . وكل غابر سبيل كان شاهدا على محاكمته ، كان قاضيا ، او كان الشخصين ، كل كلمة يقولها تستعمل كقرينة ضده . والا ، في لحظة - الهرب » .

ان الناس الذين حكموا على دانيال بأنه لوطي يبدون في حالته هرب تام ، لقد انزاح عبء كبير عنه . لقد انهزم الآخرون . ويتسمم دانيال لرؤيته الجنود الألمان الملوحى الوجوه الايقين عندما تحملهم العربات الى الشوارع المهجورة . انه يتجول حتى نهر السين ، وهناك بالصدفة - يواجه شابا فرنسيا جميلا هو فيليب ، وهو من المسالين المحظوظين ، وكان على وشك الانتحار . وقد أغرى دانيال فيليب عن طريق صبره اللوطي الطويل أن يفر رأيه ، وهو الآن يتألق بلا غم وفي أعماقه الوسائل الفنية القديمة لهتك العرض ، فيأخذ دانيال فيليب الى شقته ، ويستعد لزاولة الجنسية المثلية معه وذلك عن طريق تعليمه كيف يكون حرا . ويسأله فيليب كيف يمكن أن يعلمه الحرية .

« قال دانيال وله مظهر المضطرب الروح : « يجب أن نبدأ باذابنة القيم الخلقية . هل أنت طالب ؟

قال فيليب : « كنت طالبا » .

— القانون ؟

— كلا ، الآداب .

— هذا أفضل ، في هذه الحالة ستكون قادرا على فهم ما ساقوله

لك : الشك المنهجي - هل نبيئت ما اعنيه ؟ « التحلل المعتمد » الذي كان عند رامبو يجب أن نبدأ عملية تحطيم كاملة ، لكن لا عن طريق الافوال ، بل عن طريق الافعال . كل شيء افترضته من الآخرين سوف يتلاشى في الهواء » .

وهذا هو آخر ما نسمعه عن دانيال وفيليب ، لكن يمكن ان نفترض أن علاقتهما سوف تتطور وتنتهي كما تطورت وانتهت العلاقة بين لوسين الشاب وبرجر اللوطي في قصة سارتر القصيرة الاولى « طفولة زعيم » حيث أن تجربة البطل المصاب بالشذوذ لا تجعله يريد شيئا أكثر من أن يكون سويا وعن ثم ينتهي الى فاشي بورجوازي . ومرة أخرى ، يمكننا أن نتيقن أن أي نوع من الحرية التي يمكن أن يتعلمها فيليب من دانيال ستكون سخريه أتد من أي شيء يعتقد ماتيو أنه قد أحرزه .

وبجانب دانيال وماتيو ، هناك شخصية تقوم في جزء من أجزاء « دروب الحرية » والتي يكون « طريقها للحرية » مهما للغاية ، رغم أن طريقها يبدو زائفا . هذه الشخصية هي برونيه ، وهو عضو منحس مكرس حياته في الحزب الشيوعي . وهو من الناس الذين يعتقدون أن مشكلة الحرية تحل بالتحديد الماركسي للكلمة على أنها « التعرف على الضرورة » وفي أول الرواية يحاول برونيه أن يفري ماتيو على الالتحاق بالحزب الشيوعي . يقول له برونيه : « لقد نبزت كل شيء لتصبح حرا . خذ خطوة أبعد ، انبذ حريتك وسوف ينصاف كل شيء اليك » .

والسياسة بحر سهل عند برونيه أثناء سنوات الجبهة المتحدة ضد الفاشيست ، بل وحتى بعد تكوين الحلف النازي السوفيتي ، فهو يستمر يعتقد - دون تمحيص - في حكمة الزعماء الشيوعيين . أنه كجندي يسمح لنفسه بأن يؤسر على يد الجيش الألماني الزاحف ، ثم يبدأ تنظيم خلية شيوعية في معسكر الاعتقال . ان ما يكرهه هو بحث الذات الفردية وعدم وجود دعامة عند الجندي الفرنسي المتوسط ، وهو لا يصبر على ان يبدأ الامان ابادتهم حتى يمكن إعادة الروح المعادية للنازية .

ويطلق برونيه في معسكر الاعتقال بمثقف غامض اسمه شنيدر ، ويكون معه صداقة ، وهو شخص يبدو عليه أنه يعرف كل شيء عن الشيوعية ، وهو يحاول أن يحط من شأن عقيدة برونيه في قيادة الحزب . وأكثر من ذلك ان تنبؤ شنيدر عن التطورات السياسية تحققها الاحداث . وعندما يتكشف مدى التحالف الروسي الألماني ، وتعود

جريدة « الإومانتيه » الى الظهور بتصريح من النازي ، تضع جميع جهود برونيه في خلق حركة معادية للنازي في المعسكر . ويظهر لنا شنيدر على أنه فيكاربوس ، وهو كاتب شيوعي معروف للغاية نترك الحزب احتجاجا ضد التحالف النازي السوفيتي . ويبدل برونيه قصاره كي يتلازم مع الخط الحزبي الجديد ، لكن ارتباطه العاطفي بشنيدر - فيكاربوس قد أصبح الآن عظيما حتى أنه يقرر أن يشترك معه في الهرب . وهناك شيوعيون آخرون في المعسكر - على أية حال - يشون لسدى الامان ، فيطلق الرصاص على فيكاربوس وهو يحاول أن يهرب . ويموت بين ذراعي برونيه :

« يقول فيكاربوس : « الحزب هو الذي اغتالني » .

غمغم برونيه : ليته لا يموت . لكنه يعرف أن فيكاربوس على وشك أن يموت ... لا توجد قوة للانسان تستطيع أن تواجه هذا المذاب المطلق . انه الحزب وقد قتله . حتى لو كسبت جبهة الاتحاد السوفيتي ، فان الناس وحيدون . لقد تعلم برونيه المزيد ، لقد غاصت يده في شعر فيكاربوس القذر ، وصاح كما لو كان يريد أن يخفف الرعب ، كما لو كان في استطاعة رجلين ضائعين يمكن في اللحظة الأخيرة أن يفهرا الوحدة .

« الى الجحيم أيها الحزب ! انك انت صديقي الوحيد »

فيكاربوس لم يسمع ... »

ان فيكاربوس ميت . وتتوقف الرواية وبرونه يتردد الى الحراس الامان ، ويتأمل مدى اليأس الذي ينتظره . ونحن نترك برونيه - كما نترك روكانتان - على حافة النجاة . لكننا لا نعرف شيئا عن مستقبله . وخلال الرواية حتى المنظر الأخير مع فيكاربوس ، يجسد برونيه - كما بين سارتر - نوع الانسان الذي هرب الى القيم الجاهزة للحزب الشيوعي كهرب من عذاب الاختيار الاخلاقي .

وهكذا يمكننا أن نقول عن رواية سارتر « دروب الحرية » التي لم تنته أنه ولا درب من « دروب الحرية » التي يسلكها أشخاصه العديديون في رأيه هو الطريق الصحيح ، رغم أن القارئ ربما تعلم شيئا عن طريق عملية معارضة واستبعاد هذا الاتجاه الذي يعتقد سارتر بالفعل أنه يقع فيه طريق الحرية .

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

القاهرة

الثورة .. والجماعية

مراحل النضال العرقي ودور الحركة الثورية ١٩٤٨ - ١٩٦١

دار الطليعة - بيروت

تأليف: ناجي علوش